

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجزء الرابع والعشرون

سورة الزمر

من الآية ٣٢ حتى نهايتها الآية ٧٥

وسورة غافر

وسورة فصلت

من بدايتها حتى الآية ٤٦

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾
 (٣٢) وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٣) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ
 جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٣٤) لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا
 يَعْمَلُونَ (٣٥) ﴿

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ ﴾ بأن نسب له الشركاء أو الأبناء أو البنات ﴿ وَكَذَّبَ
 بِالصِّدْقِ ﴾ الذي جاء به الرسل ، أولئك الكافرون مستقرهم في جهنم . أما الذي جاء
 بالصدق من عند ربه ، محمد (ﷺ) والذين صدقوا رسالته ﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (٣٣) لَهُمْ مَا
 يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿ أما ما بدر منهم من سيئات ، فيكفر الله ﴿ أَسْوَأَ
 الَّذِي عَمِلُوا ﴾ ويشيهم ﴿ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (٣٦)
 وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴾ (٣٧) ﴿

إن الله هو الخالق الرازق، المحيي المميت، الرافع الخافض، المعز المذل، لا معقب على
 حكمه ولا راد لأمره، فكيف لا يكفي عبداً توكل عليه؟! كيف ﴿ يُخَوِّفُونَكَ ﴾ يا محمد
 ﴿ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ من أوثان وأصنام وظلمة من البشر؟ ﴿ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (٣٦)
 وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ ﴿ فالهدى والضلال، مثل الحياة والموت، ومثل الرزق، ومثل
 العزة بيد الله وحده، وضع لها قواعد وأحكاماً بموازين الرحمة والحق والعدل والحكمة الإلهية
 ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ﴾ يهب العزة لمن يشاء، ويمنعها عن من يشاء ﴿ ذِي انْتِقَامٍ ﴾ .

﴿ وَلَمَنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ
 اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (٣٨) قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (٣٩)
 مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ (٤٠) ﴿

ومن عجيب الأمر أنك لو سألت المشركين ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ قل لهم يا محمد ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الأوثان أو غيرها إن أراد الله أن يصيبني بضرر ﴿هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ هل يملكون رفع الضر عنى؟! وإذا أنزل الله على رحمة، هل تستطيع منع رحمته؟ ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ إن الذى يكفينى من كل خير ويحمينى من كل سوء هو الله وحده، وعليه يتوكل المتوكلون حقًا. قل يا قوم اعملوا على التمكين لكم فى الأرض، وأنا عامل بما أوحى لى ربى، وسوف تعلمون ﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّٰ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ (٤١) الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت فى منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴿٤٢﴾

إننا أنزلنا يا محمد عليك القرآن للناس كافة، فمن اهتدى به عادت هدايته عليه، ومن ضلّ عنه فضلاله على نفسه، وما أرسلناك عليهم وكيلاً يجبرهم على الإيمان ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ يقبضها حين انتهاء أجلها ﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ ويقبض النفس عند النوم ﴿فِيْمَسْكَ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ التى حان أجلها ﴿وَيُرْسِلُ الْآخِرَىٰ﴾ التى لم يحن أجلها ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى أجلها المحدد ﴿إِن فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ النوم أمره عجيب، يمارسه الناس يومياً حتى غفلوا عن عجائبه، قد ينام المرء دقائق قليلة، فيستيقظ بتفكير جديد وروح جديدة ورؤية جديدة لمشكلة أو أزمة ألمت به، فكأن نومه مثل هروباً من الواقع استجمع فيه عزمته وإرادته - وهو نائم - ليستيقظ أكثر تفاعلاً ونشاطاً، وربما يستيقظ بحلول لمشاكله، وكأنه عثر عليها أثناء نومه! . وعندما ينام، تتوقف إرادته، ولكن تظل أجهزة جسمه تعمل، لا سيطرة له عليها، وكأنها لا تتبعه. وفى نومه، يغفل عما يحيط به، ولكن قد تأتبه رؤى وأحلام وكأنها من عالم آخر. وفى بعض الأحيان يستعصى ذلك النوم على الإنسان، فيعلم أن نومه لا يخضع له كما كان يظن، وإنما هو رحمة من ربه (١).

(١) ليس النوم مجرد حالة سلبية تتمثل فى الغياب عن الشعور، لكنه عالم حى، تماماً كعالم اليقظة! فإذا كان النوم حالة يتوقف فيها التفاعل الحسى والحركى مع البيئة، ويقبل فيها الانتباه إلى المنبهات الخارجية =

﴿ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلُوبَهُمْ أَوْ لَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٤٣) قُلْ لِلَّهِ الشُّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾

اتخذ المشركون من أنفسهم، بلا دليل ولا برهان، شفعاء عند الله ﴿ قُلْ أَوْ لَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ قل لهم يا محمد اتخذونهم شفعاء رغم أنهم لا يملكون من

= ويصاحبها في العادة الرقاد وانعدام الحركة، فهناك بعض الأنشطة الهامة، التي يمارسها الإنسان أثناء النوم، منها:

- يقوم الجسم بالعديد من عمليات الصيانة لأجهزته المختلفة أثناء النوم.
 - تستمر حركات الجسم وتقلباته من أجل حماية النائم.
 - تشط بعض العمليات الفسيولوجية كهضم الطعام وإفراز الهرمونات.
 - يزيد جريان الدم في المخ عنه أثناء اليقظة.
 - يفوق نشاط الجهاز العصبي المهدئ^(١) على نشاط شريكه المهيح^(٢).
 - تجد بعض المشاكل الفكرية والانفعالية حلولها أثناء النوم (التفكير اللاشعوري).
 - يتم تدعيم المعلومات إذا أعقبنا عملية التعلم بالنوم.
 - تنام الأم نومًا عميقًا في وجود الضوضاء، لكنها تصحو في الحال عند سماع أبين طفلها!
- وإذا كان النوم عالمًا عجيبًا، فإن آلية الدخول فيه بسيطة! إنها انقطاع حالة الاستيقاظ التي يسببها نشاط «التكوين الشبكي» في المخ.

ويشغل النوم معظم اليوم عند الأطفال، ولا يصحو الطفل إلا للرضاعة أو بسبب ألم عضوي، وخلال النوم يتعلم الطفل (عن طريق الأحلام) الكثير من الأنشطة الفطرية كالرد على النفس! وتتناقص ساعات النوم تدريجيًا حتى تصبح ٧-٨ ساعات في الشخص البالغ، ثم يستمر تناقصها مع التقدم في العمر.

والنوم نوعان، يختلفان اختلافًا بيّنًا: النوم التقليدي: ويتقل إليه الإنسان من حالة اليقظة تدريجيًا، وفيه تنخفض سرعة دقات القلب والتنفس وضغط الدم ودرجة حرارة الجسم.

النوم النقيض: تشط فيه جميع أجهزة الجسم، وتحرك فيه العينان في حركات سريعة. ويتعاقب هذان النوعان من النوم في دورات ثابتة، فيحدث النوم الثاني مرة كل ٩٠ دقيقة ويستمر حوالي ٢٠ دقيقة في كل دورة.

ونحن نرى أحلامنا أثناء دورات النوم النقيض، وفي الأحلام يتم إشباع رغباتنا التي لا نستطيع إشباعها في اليقظة (صمام أمان لحالتنا النفسية). كما أن لها قدرات تنبؤية، كرؤية الملك في قصة نبي الله يوسف عليه السلام، ومثل ما تراه بعض الأمهات لأبنائهن، وتعرف هذه الأحلام بالرؤى الصالحة.

وإذا حُرِمَ الإنسان من النوم لمدة ثلاثة أو أربعة أيام متتالية، فإن الشخص يبدأ في المعاناة من خداعات بصرية تتحول إلى هلاوس مع صعوبة في التركيز واعتقادات خاطئة واضطرابات في الإدراك. ولو سُمح للإنسان بالنوم مع حرمانه من الأحلام فإنه سيعاني من نفس الاضطرابات. معنى ذلك أن وظيفة النوم والأحلام من الوظائف الحيوية للإنسان كالتغذية والتنفس، وكما تصيب هذه الوظائف العديد من الأمراض، فقد سجل الأطباء ٨٤ نوعًا من اضطرابات النوم، حتى لقد أصبحت اضطرابات النوم تخصصًا قائمًا بذاته يعرف بطب النوم Sleep Medicine. فسبحان الذي خلق النوم والأحلام كما خلق الصحو والانتباه، والحياة والموت - دكتور عمرو شريف.

(٢) الجهاز العصبي الليمبتيك.

(١) الجهاز العصبي الباراسيمبتيك.

أمرهم ولا أمركم شيئاً، ولا عقل لهم، ولا سمع، ولا بصر، مجرد جمادات لا روح فيها؟ قل لهم يا محمد ﴿لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ هو وحده الذى يملك الشفاعة، ولا يعطيها إلا لمن يرضى عنه ويأذن له ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ .

﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَشِيرُونَ﴾ (٤٥) قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٤٦) وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (٤٧) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٤٨)﴾

إن الذين لا يؤمنون باليوم الآخر؛ إذا ذكر أحد الله فى مجلسهم، أو آية قرآنية أو حديثاً نفروا من المجلس كله واشمأزت قلوبهم، أما ﴿إِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ من الطواغيت كالأصنام وغيرها من الشركاء والوجهاء، أو حتى متع الدنيا الزائفة الزائلة، يفرحون ويظهر البشر فى وجوههم ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَبْدِعِ وَخَالِقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ لا يخفى عليك شىء فى الأرض ولا فى السماء ﴿أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ فكأن الله يلقن رسوله كيف يلجأ إليه ويلوذ به ويسكن إليه عندما يضيق صدره بما يفعل أولئك المشركون، وذلك من نفس روح نداء نوح (ﷺ) مستغيثاً بالله: أنى مغلوب فانتصر ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أنفسهم بالشرك أو الكفر وظلموا الآخرين بالعدوان على حقوقهم ما فى الأرض كله، لدفعوه يوم الحساب لينجوا من عذابه، عندما ظهر لهم من الله ما كانوا يتغافلون عنه. وفى الحديث القدسى أن الله يسأل الكافر يوم القيامة: «هل لو كان لك كل ما فى الأرض لا فتديت به؟ فيجيبه: نعم، فيقول رب العالمين: لقد سألتك أيسر من ذلك: أن تقول لا إله إلا الله» رواه البخارى ﴿وَحَاقَ﴾ وأحاط ونزل ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ من وعيد.

﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِن أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٩) قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٥٠) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (٥١) أَوْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٢)﴾

إذا أصاب الإنسان ضرر؛ جأر بالدعاء لله ﴿ **ثُمَّ إِذَا حَوْلَانَاهُ** ﴾ ثم إذا أعطيناه ﴿ **نِعْمَةً مِّنَّا** ﴾ قال **إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ** ﴾ تفاخر بعلمه الذي أكسبه النعمة بدلاً من أن يحمد الله ويشكره ﴿ **بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ نعم الله على الإنسان، من مال إلى أولاد إلى صحة، إنما هي فتنة سواء في ضررها أو في نعمتها، ولكن أكثر الناس يتغافلون عن ذلك ﴿ **قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ** ﴾ مثل قارون وأمثاله عندما قال ﴿ **إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ** ﴾ [القصص: ٧٨] ﴿ **فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ لم ينفعهم ما لهم يوم الحساب، بل أصابتهم سيئات فتنة المكسب ﴿ **وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ** ﴾ وما هم فائتئين من العذاب بالهرب. ألم يعلموا أن الله يوسع الرزق لمن يشاء ويضيقه على من يشاء بمقتضى قدرته وحكمته ﴿ **إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ .

﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** (٥٣) **وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ** (٥٤) ﴾

قل يا محمد لعباد الله ﴿ **الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ** ﴾ في ارتكاب المعاصي والآثام ﴿ **لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ** ﴾ لا تيأسوا من رحمة الله ومغفرته إن تبتم توبة خالصة نصوحاً؛ لأن الله يفرح بتوبة العبد، و﴿ **يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ ويستثنى من ذلك الشرك كما بينت سورة النساء في الآيتين ٤٨، ١١٦ ﴿ **وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ** ﴾ ارجعوا إلى طاعته ﴿ **وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ** ﴾ .

﴿ **وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ** (٥٥) **أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّاحِرِينَ** (٥٦) **أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** (٥٧) **أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ** (٥٨) **بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ** (٥٩) ﴾

قل لهم يا محمد ﴿ **اتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ** ﴾ وهذا يماثل أمر الله - تعالى - لرسوله موسى (ﷺ) في سورة الأعراف أن يأمر قومه بأن يأخذوا بأحسن ما في التوراة، فارجع لشرح الآية ١٤٥ سورة الأعراف، والآية ١٨ من السورة الحالية، من قبل أن يأتيكم

عذاب الساعة فجأة، فيقول أحدكم يا حسرتاه على ما قصرت في حق الله، وسخرت من آياته، أو يقول ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ وهو بذلك يردد الحجة المردودة للكافرين، سابقًا ولاحقًا ﴿أَوْ تَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا لأكون ﴿مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ من عباد الله الصالحين. ويرد جلّ شأنه: لا، قد جاءتك آياتي، فكذبتها واستكبرت ﴿وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٦٠) وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾

ترى في يوم القيامة الذين كذبوا على الله، فنسبوا له الشركاء، ونسبوا له الولد ونسبوا له البنات سود الوجوه من حالهم الأسود، أليس في جهنم مقام لهؤلاء المتكبرين؟ والسؤال تقريري وليس استعلاميًا، أما الذين اتقوا ﴿لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لأنهم في نعيم مقيم خالد.

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (٦٢) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيَّرُ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعِدٌ وَكَانَ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ بكن فيكون ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ فهو رب كل شيء والقائم عليه ووكيله ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ له مفاتيح وخزائن ومقادير كل ما في السموات والأرض ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ بعد كل هذه البينات ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ قل لهم يا محمد ﴿أَفَغَيَّرُ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ أبعد أن هداني الله ومن معي، وبعد كل البينات تريدونني أن أعبد آلهتكم أيها الجاهلون ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ من الرسل ﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ إنما أمرك الوحي بعبادة الله وحده، وأن تكون من الشاكرين.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنَفَخَ فِي الصُّورِ فُصِّعًا مِّنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوَقَّيْتُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾

ما قدر المشركون الله حق قدره، والأرض كلها ﴿قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ تعبيراً عن قدرته ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ونفخ الملك في القرن أو البوق، فصعق من في السماوات والأرض إلا من استثناه الله، ثم نفخ فيه مرة أخرى، فإذا البشر أحياء قائمون ينظرون الحدث ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ أشرقت أرض الساعة والحشر بنور ربها، ووضعت كتاب الأعمال، وبدأ القضاء بالنبیین والشهداء، قيل إن الشهداء هم الملائكة التي تسجل الأعمال، وقيل بل الذين استشهدوا في سبيل الله، ويمكن الجمع بين التأويلين ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ واستوفت كل نفس جزاء أعمالها، والله أعلم بما كانوا يعملون.

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾

وأرسل الكفار إلى جهنم جماعات تتوالى، حتى إذا جاؤها فتحت خزنتها أبوابها وسألوهم مستنكرين: ألم يأتكم رسل منكم، يتلون عليكم آيات ربكم، وينذرونكم هذا اليوم العظيم؟ فأجابوهم: نعم، جاءتنا الرسل، ولكن حقت كلمة الله علينا بالعذاب بسبب كفرنا، فقال لهم الخزنة ادخلوا جهنم خالدين فيها، وبئس مقام المتكبرين.

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُونَ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾

أما المتقون ، فإن الملائكة تقودهم إلى الجنة ﴿ زُمَرًا ﴾ جماعات ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ قالت لهم ملائكة الجنة ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ ﴾ من كل شر ومن كل ضرر ﴿ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ فانعموا فيها أبد الأبدين . عندئذ يقول المتقون ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ ﴾ الحمد لله الذى وعدنا الحق وملكنا أرض الجنة ﴿ نَتَّبِعُونَ ﴾ ننزل ﴿ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ بما أراد الله من عبده ﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ وترى الملائكة حول عرش الرحمن يسبحون بحمد ربهم ، وقضى الله بين جميع الخلق بالحق ، وقالت الملائكة وأصحاب الجنة ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ والحولية هنا من أمور الغيب ، مثلها مثل عرش الرحمن ، والله أعلم .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَم ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهَ الْمَصِيرِ ﴿٣﴾

﴿حَم ١﴾ ارجع لشرح الحروف المقتطعة في أول سورة البقرة . وسورة غافر هي أولى السور السبع المبدوءة بهذين الحرفين ﴿حَم﴾ وتسمى الحواميم ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ﴾ واهب العزة ومانعها ﴿الْعَلِيمِ﴾ بكل ما خلق، كل ما كان وكل ما هو كائن وكل ما سيكون - ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك : ١٤] - ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ﴾ وذو الطول أى ذى السعة والغنى والقوة، والفضل والإنعام . والقرآن يجمع دائماً بين الوعد بالجنة والوعيد من النار ليعيش الإنسان بين الخوف من المعصية والعقاب الذى يترتب عليها، والرجاء والطمع فى رحمة الله وكرمه وفضله . لا إله إلا هو الواحد الأحد، وإليه المصير .

﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُوكَ تَقْلِبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾ ﴿٤﴾ كَذَبَتْ قُلُوبُهُمْ قَوْمٌ نُّوحِ وَالْأَحْزَابِ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرِسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ

(*) إلا الآيتين ٥٦ ، ٥٧ فمدنيتين .

الْحَقِّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةٌ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾ ﴿

﴿ مَا يَجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ما يجادل الجدل الجاحد المتعنت - مثل أقوال : متى هذا الوعد؟ ومثل الآيات ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣ في سورة الإسراء - إلا الكافرون ﴿ فَلَا يَغْرُوكَ تَقْلِبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴾ لا يخذعك تنقلهم سالمين غامنين، أو تقلب أحوالهم ليزدادوا ثراءً ونفوذاً، أو المعنيين معاً؛ لأن هذا استدراج من ربهم . كذب قوم نوح (ﷺ)، وكذبت أقوام كثيرة بعدهم رسلهم، وهموا بقمع رسلهم أو قتلهم، وجادلوا بالزيف والضلال ﴿ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴾ ليبطلوا ويزيلوا الحق ﴿ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ وكذلك حقت كلمة الله بعذاب الكافرين ليكونوا ﴿ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ .

﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾

الملائكة ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ ينزهون ربهم عن كل ما لا يليق بجلاله وكماله ووحدانيته، والعرش، وحمله من أمور الغيب . يؤمنون بالله، ويدعون بالمغفرة للمؤمنين، فيبدأون دعاءهم قائلين ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ فاغفر لعبادك الذين تابوا واتبعوا سبيلك، ونجهم من عذاب الجحيم، وأدخلهم جنات عدن مع من آمن وعمل الصالحات من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم تصديقاً لوعدك ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ فأنت واهب العزة والحكمة، ومانعهما، وتسترسل الملائكة في دعائها للمؤمنين ﴿ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ﴾ وجنبهم عقوبات السيئات ﴿ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ينادون لِمَتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَّتِّكُمْ أَنْفُسِكُمْ إِذْ تَدْعُونَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكُمْ

بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ﴿١٢﴾ هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقاً وما يتذكر إلا من يئيب ﴿١٣﴾

المقت هو أشد البغض، ويوم الحساب يسمع الذين كفروا توبيخاً وتبكيئاً ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ إن مقت الله لكم حينما كفرتم في الدنيا أكبر من مقتكم اليوم لأنفسكم ولكفركم وأعمالكم السوء في الدنيا. وتحتمل الآية معنى أن تكبركم في الدنيا وجحودكم رسالة محمد (ﷺ) مقتاً من أن يحمل شرف الرسالة غيركم، سبب لكم مقتاً أشد ضرراً عليكم، وهو مقت الله لكم على ذلك، فيرد الكفار متذللين ﴿رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ كنا عدماً ثم خلقنا الله، ثم أماتنا ثم أحيانا للحساب، فاعترفنا بذنوبنا فهل هناك سبيل للخروج من النار؟ تلك النار دخلتموها لأنكم في الدنيا ﴿إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَمَّنُوا﴾ فالحكم اليوم ﴿لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ وقد أراكم آياته في الدنيا ورزقكم من السماء، ولم يتذكر إلا من يرجع لله.

﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ الْيَوْمَ تَجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾

أخلصوا عبادة الله، وأخلصوا الدعاء له ولو كره الكافرون ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ كناية عن الذات الإلهية وكمالها وجلالها ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ﴾ ينزل جبريل بالوحي ﴿عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ قال محمد الغزالي: [الآية تصيح بأمجاد الله صياحاً يزعج الذاهلين، ويذر في نفوسهم إحساساً غامراً بالبعث والجزاء، وتشرح وظيفة الرسل بأنها الإعداد الروحي ليوم اللقاء] في ذلك اليوم يبرز الناس من القبور، وتظهر أعمالهم في الدنيا لا يخفى منها شيء، وينادى جل جلاله ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ ويرد قائلاً ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ﴾ الأحد الفرد الصمد ﴿الْقَهَّارِ﴾ القاهر فوق عباده وكل الأكوان، ويجازى الله كل نفس بما عملت في حياتها الدنيا، بموازين الحق الإلهي، فلا ظلم اليوم ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينٍ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ (١٨) يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩) وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٢٠)﴾

﴿يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾ هو يوم الحساب؛ لأنه قريب، فكل آت قريب - وجاء في سورة النجم ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [٥٧، ٥٨] - في ذلك اليوم تبلغ قلوب الظالمين حناجرهم من الخوف، ليس لهم صديق حميم، ولا شفيع يشفع لهم فيطاع ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ يعلم أقل ما تفعله الجوارح، من نظرة خاطفة، وأقل ما يجيش في النفس وتخفيه الصدور ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ من المعبودات الأخرى ﴿لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾ لأنهم لا يقدرُونَ على شيء ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوال الخلق ﴿الْبَصِيرُ﴾ بما يعملون.

﴿أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ (٢١) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٢)﴾

ألم يسر الناس في الأرض ويعرفوا عاقبة من كانوا قبلهم، وكانوا أشد منهم قوة وعمراً في الأرض، ولم ينفعهم ذلك ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أخذ عزيز مقتدر ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ ولم يجدوا من يقيهم ويدفع عنهم العذاب؛ لأنهم ﴿كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢٣) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤) فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٢٥) وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (٢٦) وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (٢٧)﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ أرسل الله موسى (ﷺ) بآياته وحججه المبينة إلى فرعون ووزيره هامان، وقارون ثرى بنى إسرائيل ﴿فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ - كما قالت قريش عنك يا محمد - ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا﴾ فبدلاً من أن يؤمنوا، استكبروا وجحدوا وتجبروا، فقالوا ﴿اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ﴾ وما مكر الكافرين من أمثال فرعون وبطانته إلا فى ضلال ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ وهكذا زيف فرعون الحقائق، وزعم أن موسى (ﷺ) مفسد فى الأرض، ولذلك فإنه - فرعون اللعين، الذى يقود قومه إلى جهنم يوم الدين - يخاف على قومه من فساد موسى! وكذلك - حرصاً على صلاح قومه - يريد أن يقتل موسى! ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ فما كان من كليم الله، الذى صنعه الله على عينه إلا أن قال: أعوذ بالله ربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ (٢٨) يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد (٢٩) ﴿

اعترض رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ يا قوم آتاكم الله الملك اليوم فى الأرض، فمن ينصرنا من بأسه إن أراد نزع الملك منا؟ قال اللعين كلمته الشهيرة التى صارت رمزاً للجهل والاستبداد ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ .

﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ (٣٠) مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد (٣١) ويا قوم إنى أخاف عليكم يوم التناد (٣٢) يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد (٣٣) ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن نبعث الله

من بعده رسولاً كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب ﴿٣٤﴾ الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان آتاهم كبر مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ﴿٣٥﴾

استمر مؤمن آل فرعون ينصح قومه: إني أخشى إن قتلتم موسى أن يصيبكم ما أصاب الأمم السابقة التي تحزبت على أنبيائها ﴿مثل داب﴾ مثل عادة وإصرار ﴿قوم نوح﴾ على تكذيبه، فكان جزاؤهم الغرق، ومثل هلاك عاد وثمود ومن بعدهم ﴿وما الله يريد ظلماً للعباد﴾ ولكن يريد لهم أن يختاروا بأنفسهم الإيمان وعمل الصالحات، ويرضى لهم الشكر ولا يرضى الكفر ﴿ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد﴾ يوم الحساب ﴿يوم تولون مدبرين﴾ يوم تحاولون الفرار، ولكن ﴿ما لكم من الله من عاصم﴾ يمنعكم من عذابه ﴿ومن يضل الله فما له من هاد﴾ ارجع لشرح الآية ١٤٦ من سورة الأعراف ﴿ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات﴾ فتشككتم وانتظرتم موته، وقتلتم عند ذلك ﴿لن يبعث الله من بعده رسولاً﴾ وفي قولهم هذا تأكيد؛ بأنهم أيقنوا من صحة بينات يوسف (عليه السلام)، ولكنهم كما تقول الآية ﴿جحودوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا﴾ [النمل: ١٤] ﴿كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب﴾ كذلك يضل الله من يسرف على نفسه بظلمها وباصطناع الارتياب ﴿الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان آتاهم﴾ إن الذين يجادلون في آيات الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ﴿كبر مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا﴾ ذلك الجدال الضال كرهه الله وكرهه المؤمنون ﴿كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾ في قصة فرعون وبطانته عبرة ناطقة عن الذين استيقنت أنفسهم الحق وجحدوه، ولم يتوقفوا عند ذلك، بل اتهموا من يقول الحق بأنه يفسد في الأرض، وبلغوا نهاية تجبر الانحطاط في الأرض عندما زعموا خشيتهم من أن من يقول ﴿ربى الله﴾ يفسد الناس؛ وأنهم حريصون على الناس، ولذلك سيقتلون ذلك القاتل!

أمثال هؤلاء الجهلة المستبدين الملاحين في كل مكان وزمان إلى يوم الدين يضلهم الله، ويختم على قلوبهم، ومثلهم حقت عليه كلمة العذاب.

﴿وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الأسباب ﴿٣٦﴾ أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا فى تباب ﴿٣٧﴾﴾

وإذا بهذا الفرعون الذى لا يتفوق على جهله إلا استبداده، يقول لوزيريه هامان: ابن لى بناءً لعلى أبلغ أعلى السماوات، وأبحث عن إله موسى ﴿وَأِنِّى لَأُظَنُّ كَاذِبًا﴾ فليس هناك إله سواى ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سَوْءَ عَمَلِهِ﴾ هكذا زينت نفس فرعون، الخاوية من أى إيمان والبريئة من أى علم، له سوء عمله، فمن أجدر منه بأن يضلّه الله؟ ﴿وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾ ومنع من الطريق المستقيم ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾ وما كيده الذى أفنى فيه عمره إلا فى خسران وهلاك.

﴿وَقَالَ الَّذِى آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠)﴾

ثابر مؤمن آل فرعون، وجاهد فى الله حق جهاده، وأخلص لقومه النصيح، وأوجزه فى عبارات بليغه واضحة، ولكن القوم عطلوا كل ما حباهم الله، غلّفوا قلوبهم، وصمّوا أذانهم، وأعموا عيونهم، فهنيئًا لهم جهنم خلف فرعونهم اللعين، وهنيئًا للمجاهدين فى سبيل الله جناته ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونِنِي إِلَى النَّارِ (٤١) تَدْعُونِنِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (٤٢) لَا جْرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونِنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِى الدُّنْيَا وَلَا فِى الْآخِرَةِ وَأَنْ مَّرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنْ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٤٣) فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٤٤) فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكُرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦)﴾

لم ييأس مؤمن القوم الظالمين، وسألهم فى براءة واستعطاف ﴿مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونِنِي إِلَى النَّارِ﴾ تدعونى للكفر بالله والشرك وأنا أدعوكم إلى ﴿الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾ حقًا إنما تدعونى إليه لا يستحق أن يعبده أحد، ولا يستجيب لداعيه فى دنيا ولا آخرة، وسنرجع جميعًا إلى الله، وسيكون المسرفون على أنفسهم بظلمها فى الدنيا، أصحاب النار، وستذكرون ما أقول لكم ﴿وَأَفْوُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ فحماه الله من مكر

فرعون وآله، وأنزل بهم سوء العذاب ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ جاء في الصحيحين «إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغدوة والعشى، إن كان من أهل الجنة، فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار. فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله، عز وجل، إليه يوم القيامة» ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ .

﴿وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعْفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَدُونَ عَنَا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ (٤٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (٤٨) وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لَخِزْنَةٌ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا أَوْ لِمَ تَك تَأْتِيكُمْ رَسُولُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٥٠)﴾

وهذا أحد مشاهد أهل النار . يجادل الضعفاء التابعون قادتهم وأئمتهم الذين استكبروا واستجبروا: لقد تبعناكم، فهل ترفعون عنا بعض العذاب؟ فأجابوهم: كلنا في النار، هذا حكم الله في العباد. ثم طلب أصحاب النار من خزنتها ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾ فأجابوهم مؤنسين ومنكرين ﴿أَوْ لِمَ تَك تَأْتِيكُمْ رَسُولُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج والبراهين والمعجزات؟ قالوا: نعم، فيقول لهم الخزنة ﴿فادْعُوا وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ .

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥١) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار (٥٢) ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بني إسرائيل الكتاب (٥٣) هدى وذكرى لأولى الألباب (٥٤) فأصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشى والإبكار (٥٥) إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان آتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير (٥٦)﴾

واستمع يا أخى المؤمن للحق وهو يقول الحق المبين ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ ذلك بموازين الحق، قرب قتيل منتصر، ورب قاتل منهزم، ورب ثرى فقير، ورب فقير غنى، والأمر واضح يوم الحساب ﴿لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾ جهنم وبئس القرار ﴿ولقد آتينا موسى الهدى﴾ الدين الحق ﴿وأورثنا بني إسرائيل الكتاب﴾ التوراة تهدى أولى الألباب وتذكرهم

بالله ﴿فَاصْبِرْ﴾ يا محمد ومن معك ومن بعدك ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ فهو ناصر رسله والذين آمنوا فى الحياة الدنيا والآخرة، وهو جامع الناس ليوم الحساب، فريق فى الجنة وفريق فى السعير ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْبِكَ﴾ عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: كنا نعد لرسول الله (ﷺ) فى المجلس الواحد مئة مرة: «رب اغفر لى وتب على إنك أنت التواب الرحيم» رواه أبو داود والترمذى، فإذا كان ذلك استغفار من غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكيف يكون استغفارنا؟ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ فى آخر النهار وأوله، والمقصود كل الأوقات ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ جاء فى الحديث: «إن أحبكم إلى وأقربكم منى مجالساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إلى وأبعدكم منى يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون المتفيهقون» قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرثارون، والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: «المتكبرون» رواه الترمذى، وأولئك هم قرناء فرعون وآله الذين أيقنوا بآيات يوسف (ﷺ)، ثم بآيات موسى (ﷺ)، ولكن جحدتها أنفسهم ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ .

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥٧) وَمَا يَسْتَوِى الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءَ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾

يقول خالق الأكوان، إن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس، وكل خلق عنده هين يسير - ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] - فيكون مراد الآية أنه إذا كان العرب وقت الرسالة يعترفون بأن الله خالق السماوات والأرض، وكل من يعمل النظر منهم يعرف أن السماوات والأرض أكبر من الناس، فكيف يشكون فى قدرة الله على البعث؟ وما يستوى عند الله الأعمى والمسيء مع البصير الذى آمن وعمل الصالحات، وتلك موازين الله، ولكن غرت الدنيا بموازينها الناس، فقليلاً ما يتذكرون، والساعة آتية لا ريب فيها، ولكن أكثر الناس غرتهم الدنيا فعبدوها وصاروا بالآخرة لا يؤمنون ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ قال ابن كثير: [هذا من فضله، تبارك وتعالى، وكرمه أنه ندب (طلب) عباده إلى دعائه وتكفل لهم بالإجابة، كما كان سفيان الثورى يقول: يا من أحب عباده إليه من سأله فأكثر سؤاله، ويا من أبغض عباده إليه من لم يسأله، وليس أحد كذلك

غيرك يارب]، وجاء في الحديث «الدعاء هو العبادة» رواه البخارى فى الأدب المفرد، وأبو داود والترمذى والنسائى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾^(١) مشواهم جهنم أذلاء صاغرين فى خذى يليق بالمستكبرين عن عبادة الله .

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٦١) ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَى تَوْفُكُونَ (٦٢) كَذَلِكَ يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٦٣)﴾

من آفات الناس أنهم يعتبرون ما اعتادوا عليه وضمنوه واطمأنوا له أمراً هيئاً وحقاً مشروعاً، ولكن فى الليل والنهار آيات كونية باهرة: كيف يتعاقبان فى نظام محسوب بديع من آلاف، إن لم يكن ملايين السنين؟ كيف لا يفسد أحدهما الآخر ويتداخل فيه؟ كيف ينظمان دورة الحياة للإنسان والحيوان والنبات؟ لو شاء الله لأعت الناس بهما، وما يحدث لشعوب شمال أوروبا مثل فنلندا والسويد والنرويج يسير هين من ذلك العنت^(١) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ ربكم هو الله خالق كل شىء، فكيف تُصرفون عن عبادته لعبادة إفاك وضلال؟ كذلك يُصرف عن الحق الجاحدون بآيات الله .

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦٤) هُوَ الْحَىُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٥)﴾

الله هو الذى سوى لكم الأرض لتستقروا عليها، ورفع فوقكم السماء كالبناء تحميكم^(٢)، وهو الذى صوركم فأحسن صوركم، وهو الذى رزقكم من كل أنواع الطيبات، ذلك هو الله خالقكم وربكم ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ هو الحى، خالق الموت والحياة، لا إله إلا هو ﴿فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ وهو القائل ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ وعلى كل ذلك نقول ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

(١) يطول النهار إلى حوالى ٢٠ ساعة فى منتصف الصيف، ويطول الليل إلى حوالى ٢٠ ساعة فى منتصف الشتاء .

(٢) لمن أراد أن يستزيد، يمكنه الرجوع لكتاب زغلول النجار «تفسير الآيات الكونية فى القرآن الكريم» ج٣ صفحة ٢٤٣-٢٤٩ مكتبة الشروق الدولية .

﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لِمَا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٦) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفَىٰ مِنْ قَبْلِ وَلِتَبْلُغُوا أَجْلاً مُّسَمًّىٰ وَلِعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦٧) هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٦٨)﴾

قل يا محمد لمشركي مكة الذين يريدونك أن تعبد آلهتهم إن ربي نهاني عن ذلك وأتاني بينات توحيده وأمرني أن أسلم وجهي له ، وهو الله ربكم الذي خلق أباكم آدم من تراب ، ثم خلقكم من نطفة ، تعلقت بجدار الرحم ، ثم أخرجكم أطفالاً لا تعرفون ولا تستطيعون شيئاً ، ثم تلبغون أشدكم ، عقلاً وجسداً ، ثم تشيخون ، ومنكم من يتوفى قبل أى من تلك الأطوار ، حتى تلبغوا أجلكم ، فهل تعقلون أن ذلك يتم بدون قادر رحيم؟ واعلموا أن الحياة الدنيا قصيرة ومتعتها قليلة ، وأن الدار الآخرة خير وأبقى ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ (٦٩) الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧٠) إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (٧٢) ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَشْرِكُونَ (٧٣) مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ (٧٤) ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ (٧٥) ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٦)﴾

أرأيت إلى الذين يجادلون في آيات الله تكبراً وجحوداً ﴿أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ﴾ كيف يصرفهم ظلمهم عنها ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ﴾ بالقرآن ﴿وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا﴾ من الدعوة إلى الله ، وبكتب الله ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ يوم الحساب ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ يسحبهم زبانية جهنم ﴿فِي الْحَمِيمِ﴾ الماء المغلي ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ يملؤونها ويحترقون فيها ، ويُسألون ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَشْرِكُونَ﴾ أين آلهتكم كي تنقذكم؟ فيقول الكافرون ﴿ضَلُّوا عَنَّا﴾ تاهوا عنا ﴿بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾ بل إننا لم نكن نعبد شيئاً على الإطلاق ﴿كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ دنيا وآخرة ، فأولئك هم المتكبرون الجاحدون من أمثال فرعون وآله ، الذين جحدوا آيات الله بعد أن أيقنتها أنفسهم ، وارجع لشرح الآيات من ٢٣ إلى ٤٦ ، والآية ١٤٦ من سورة الأعراف ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾

وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٦﴾ والفرح والمرح هنا هما فرح ومرح التكبر والغرور والخيلاء ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ .

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرَبِّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعُدُّهُمْ أَوْ تَتَوَقَّعُكَ فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطُلُونَ ﴿٧٨﴾﴾

فاصبر يا محمد ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ وإما أن نجعلك ترى بعض ما نعدهم من عذاب، أو تتوفك قبل ذلك، وأنت وهم إلينا ترجعون، ولقد أرسلنا قبلك رسلاً، قصصنا عليك ما حدث لبعض منهم مع أقوامهم ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فظالمنا سأل الكفار أنبياءهم بمعجزات على هواهم تحدياً وتعنتاً ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ بعذابهم ﴿فُضِيَ بِالْحَقِّ﴾ حكم الله بالحق بين الرسل وأقوامهم ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطُلُونَ﴾ .

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفَلَكِ تَحْمِلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾

اعتبر الناس الأنعام حقاً مشروعاً لهم، ولم يعتبروا بفضل الله عليهم فيها، ولا آيات صنعه الدالة على قدرته، فمن الأنعام يأكلون ويشربون، ويصنعون ملابسهم وقيامهم، وينتقلون عليها وينقلون بضاعتهم، ولهم فيها جمال يثلج صدورهم - كما نفعل نحن الآن بسياراتنا والتي أمكننا الله من صناعتها بما حباننا به من عقول، وما نظم من قوانين الطبيعة في الحركة والاحتراق وما إلى ذلك - وكذلك تحملكم الفلك التي تطفو على الماء وتتحرك بدفعكم المجاديف، أو بدفع الهواء الأشرعة، وكل ذلك بتسخير الله ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ كلها في الخلق ﴿فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ النعم .

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدَّهُ

وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكْ يَنْفَعَهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتِ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ في رحلاتهم التجارية ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم السابقة التي كفرت بأنبيائها ﴿كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾ عدداً ﴿وَأَشَدَّ قُوَّةً﴾ جنداً وبطشاً ﴿وَأَتَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ تركوا آثاراً في البناء والتشييد أكثر ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ فلم تنفعهم إنجازاتهم ولم تمنع عنهم انتقام الله؛ إذ إنهم استغنوا بتلك الإنجازات عن الله وعن اتباع رسله، فرحوا بها وفضلوها عما أتت بهم رسلهم، فأنزل الله بهم عاقبة استهزائهم، ولم ينفعهم إيمانهم يوم الحساب، وتلك هي سنة الله التي مضت في عباده ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمَّ ١﴾ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾
بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي
أَذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّا عَامِلُونَ ﴿٥﴾

﴿حَمَّ﴾ ارجع لشرح الحروف الْمُقَطَّعة في أول سورة البقرة . هذا القرآن نزل من لدن الرحمن الرحيم ، كتاباً فصل آياته باللغة العربية ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يعلمون بفطرتهم ومداركهم أنه لا بد لهذا الكون من إله قادر رحيم ، فهذا نورهم الذي في قلوبهم ، ثم يعلمون من سيرة محمد (ﷺ) الصادق الأمين أنه رسول رب العالمين ، ثم يعلمون من آيات القرآن وهذاه أنه تنزيل من رب العالمين ، فيلتقي نور قلوبهم بنور الرسالة ، فهؤلاء هم الذين يعلمون ، وهؤلاء هم الذين أنزل الله القرآن لهدايتهم ، وجاء في الحديث أن الرسول (ﷺ) سأل صحابته «أى الخلق أعجب إيماناً؟» قالوا: الملائكة ، قال: «وكيف لا يؤمنون وهم عند ربهم؟» قالوا: الأنبياء ، قال: «وكيف لا يؤمنون وهم يأتيهم الوحي؟» قالوا: نحن ، قال: وكيف لا تؤمنون وأنا بين أظهركم» ، قالوا: فمن يارسول الله؟ قال: «قوم يأتون من بعدكم يجدون صحفًا يؤمنون بما فيها» رواه أحمد ، وهذا الكتاب يبشر وينذر الناس بيوم الحساب ، وأعرض أكثر الناس وقالوا ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾ في أغطية تمنع قبوله ، وفي آذاننا ﴿وَقْرٌ﴾ صمم وثقل يمنعنا عن سمعك ، وبيننا وبينك حجاب ﴿فَاعْمَلْ﴾ يا محمد ما شئت ﴿إِنَّا عَامِلُونَ﴾ لما نشاء .

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ﴾

قل لهم يا محمد ﴿ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ تحديد صريح قطعي واضح ، أنا بشر مثلكم ، وقطعت هذه الآية ومثيلاتها الطريق على أى مغالاة أو مزيدة على خاتم النبيين ، تفسد عبوديته الحققة ورسالة التوحيد الخالصة التى بلغها ، بشر مثلكم ﴿ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ أحد ، علينا أن نستقيم فى توحيدِه ونستغفره على ما مضى من جهلنا ومعاصينا ، والتوحيد الخالص يعنى - فيما يعنى - المساواة بين البشر ، ويدعو للعدل بينهم ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ أما ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ الخلود فى الجنة فى نعيم غير مقطوع .

﴿ قُلْ أَنتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الْأَرْضَ فى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسِيً۞م مِّنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَا لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فى كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزِينَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾

كيف تكفرون بالله الذى خلق الأرض فى يومين ، وجعل فيها الجبال رواسى لثلاث تهتز بكم ، وبارك فى الأرض بما خلقه فيها من دلائل التوحيد ، وبما ينفع الناس من مختلف الطبيات ، وقدر أقوات مخلوقاتها لكل السائلين فى أربعة أيام ، ثم ﴿ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ ﴾ ثم قصد السماء (١) وهى دخان (٢) فقال لها وللأرض ﴿ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ استجابة لأمرى طائعين أو مكرهين (٣) ، فقالتا بل طائعين ، فخلق سبع سموات فى يومين ، وأوحى فى كل سماء شأنها ونظامها ، وزين السماء القريبة من الأرض بالكواكب المضيئة ﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ

(١) راجع شرح ﴿ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ ﴾ فى : [الأعراف : ٥٤] ، [يونس : ٣] ، [الرعد : ٢] .

(٢) لمن يريد الاستزادة ، يمكنه الرجوع لكتاب زغلول النجار «من آيات الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم» ج١ صفحة ٤٢-٤٣ مكتبة الشروق الدولية .

(٣) راجع شرح [آل عمران : ٨٣] ، [الرعد : ١٤] .

الْعَلِيمِ ﴿ في خلقه، وفي تصريف شئون خلقه . والله أعلم بمقصوده باليوم، فهو تارة ألف سنة وتارة خمسون ألف سنة، ومراحل الخلق هنا متداخلة، طبقاً لما بينته سورة ق ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾ .

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

فقل يا محمد للمكذبين المعرضين ﴿ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ أهلكتهم بعد ما كفروا برسلكم، والمقصود بالصاعقة العذاب الشديد، أو الصيحة الصاعقة المهلكة، أو الإذن ببداء عذاب الاستئصال ﴿ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ تحتل عدة أوجه، منها: ذكرت آيات القرآن رسولين لهما: هود، وصالح عليهما الصلاة والسلام، فيحتمل أنهما قصا على قوميهما ما حدث للأمم السابقة عندما كذبت رسلها، ويحتمل أنه كان هناك رسل آخرون لعاد وثمود لم يقصهما القرآن، وفقاً لما جاء في سورة غافر ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ [٧٨]، والله أعلم . وكفرت عاد وكفرت ثمود بالرسول، وتحججوا بأن الله كان سيرسل ملائكة وليس بشراً لو أراد منهم شيئاً .

﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِيسَاتٍ لِنَذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

استكبرت عاد بقوتها، وجحدوا آيات الله، فأرسل عليهم ريحاً ﴿ صَرْصَرًا ﴾ شديدة البرودة عالية الصوت مزمجرة في أيام مشثومة؛ ليهلكوا هلاكاً مخزياً في الدنيا، وعذاب الآخرة أخزى ﴿ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ .

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ﴾ قوم رسول الله صالح (ﷺ)، وكانت ديارهم شمالي الحجاز بالحجر ﴿فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ فبينما لهم طريق الهدى من طريق الضلال ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ فأرسلنا عليهم صاعقة أهلكتهم في هوان، جزاء عملهم، ونجينا من آمن منهم واتقى.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا دَعَمْنَا رَبَّنَا فَكَانُوا جُودًا لِّمَن نَّعْبُدُ ﴿٢١﴾﴾

ويوم الحشر، يحبس أعداء الله ويتجمعون؛ ليحشروا إلى النار، وتشهد عليهم أسمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون، فقالوا لجلودهم مستنكرين ﴿لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ فأجابوهم ﴿أَنْطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون ﴿٢١﴾ .

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ لم تحرصوا وأنتم تشركون بالله وتعصونه على ستر أنفسكم من سمعكم وأبصاركم وجلودكم ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ﴾ وذلك ظن سوء ﴿أَرْدَاكُمْ﴾ أهللكم ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ .

﴿فَإِن يَصْبُرُوا فَلِنَارٍ مَّثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنَّا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾

فإن يصبروا ﴿فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ مقرر لهم ﴿وَإِنْ يَسْتَعْجِبُوا﴾ يطلبوا رضا ربهم ويبدوا الأعدار ﴿فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ المجابين إلى طلبهم ﴿وَفَيَضُنَّا لَهُمْ قُرْآنًا﴾ هيأنا لهم فى الدنيا أصحاباً من شياطين الجن والإنس ﴿فَرِيئُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ فزينوا لهم أعمالهم السيئة فى الدنيا، وزينوا لهم عاقبة تلك الأعمال ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ حقت عليهم كلمة العذاب، كما حقت على ﴿أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿مِن قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ .

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٦) فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون ﴿٢٧﴾ ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون ﴿٢٨﴾ وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين ﴿٢٩﴾

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لبعضهم فى مجالسهم ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ﴾ لا تصغوا لآياته ﴿وَالْغَوْا فِيهِ﴾ وارفعوا أصواتكم باللغو والباطل، وبأى شكل وهيته، ومنها الجدال المتعنت حتى تصرفوا الناس عنه، وإذا كانت تلك أساليب عصر التنزيل، فالآن هناك أساليب أخرى أكثر مكرراً وتنوعاً للتشويش واللغو على القرآن، فيجيبهم منزل القرآن وحافظه إلى يوم الدين ﴿فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون﴾ (٢٧) ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون ﴿وفى النار يقول الضعفاء التابعون﴾ ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين ﴿.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشَرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٣٠) نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون ﴿٣١﴾ نزلاً من غفور رحيم ﴿٣٢﴾

أما الذين ﴿قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ فتنزّل عليهم فى الدنيا الملائكة تطمئنهم بأن الله معهم، فلا يخافون ولا يحزنون مما يصيبهم من أذى وابتلاء فى الدنيا، وتبشرهم بالجنة التى وعدّها

الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات . ثم تؤكد لهم ﴿ نَحْنُ أَوْلَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ فأخلصوا الدين، وأخلصوا القول والعمل، واعملوا في سبيل الله ولا تخشوا لومة لائم، أما في الآخرة، فلكم كل ما تشتهون وتريدون ﴿ نَزْلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴾ فالجنة منزلكم من رب غفور رحيم .

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٣٣) وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يَلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يَلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾

وهل هناك من هو أحسن قولاً من المؤمن الذي عمل صالحاً وقال إنه من المسلمين؟ ولا يستوى العمل الصالح والأخلاق الحسنة بالعمل الطالح والأخلاق السيئة . عامل الناس بالتي هي أحسن حتى تدفع عنك عداوتهم، وحتى يصبح العدو ﴿ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ وما يستحق الجنة إلا الذين صبروا، ولن يدخلها إلا من هو ذو حظ عظيم، وليس المقصود هنا الحظ الذي نعني به النتيجة الطيبة أو العاقبة المحمودة دون استحقاق، ولكن ما بينته آيات القرآن الكثيرة من صفات المؤمنين أصحاب الجنة، وتلك الصفات هي حظهم العظيم في الدنيا، الذي أورثهم حظهم العظيم في الآخرة، الخلود في الجنة . وجاء في الحديث «أوصاني ربي بتسع أوصيكم بها: أوصاني بالإخلاص في السر والعلن، والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، وأن أعفو عن ظلمي، وأعطى من حرمني، وأصل من قطعني، وأن يكون صمتي فكراً، ونطقي ذكراً، ونظري عبراً» رواه ابن عبد ربه في «العقد الفريد» ﴿ وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ ﴾ إذا ما وسوس إليك الشيطان بسوء ﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (٣٧) فَإِن اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّهُ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً إِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنِّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

ومن آيات الله ﴿اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾ وتعاقبهما بانتظام دقيق وتنظيمهما للحياة ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ ومنافعهما ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ لا تسجدوا للشمس والقمر مثل عبدة الكواكب، ولكن اسجدوا لله وحده واعبدوه وحده، فإن استكبروا بعد آيات الله لهم ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ مثل الملائكة التي يعبدونها ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ ولم يسألکم الله كل هذا التسبيح ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ ساكنة يابسة جافة ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾ انتعشت ﴿وَرَبَّتْ﴾ انتفخت وعلت ﴿إِنَّ الْأَذَىٰ أَحْيَاهَا لِحَيِّ الْمَوْتَىٰ﴾ هكذا قدرة الله في إحياء الموتى ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٤١) ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّ لَهُمْ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ (٤٢) ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (٤٣)

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ يحرفون معناها عن الحق، أو باتباع التشابه ابتغاء الفتنة، كما ذكرت سورة آل عمران ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ (٧)، أو بتفسيرها على طريقة لا تقربوا الصلاة ﴿لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا﴾ واعملا ما شئتم واختاروا لأنفسكم، ولكن اسألوا أنفسكم ﴿أَفَمَنْ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فمصير هؤلاء الملحدين والكافرين بذكر الله هو نفسه مصير ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ الإلقاء في النار، والذكر هو الكتاب العزيز، أنزله العزيز، هدى للمتقين، من تبعه فاز، ومن جحد خاب وخسر ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ فقد أحكمه وأنزله الحكيم الحميد، وحفظه من التحريف والضياع، كما أكدت آية الحجر ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٩) .

﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَد قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٤٣) ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (٤٤) ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا

مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ
(٤٥) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

﴿ مَا يُقَالُ لَكَ ﴾ يا محمد إلا ما قاله الله للرسول من قبلك ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ ﴾ لمن تاب
وَأَمِنَ ﴿ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ لمن أصرَّ على عناده وكفره ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا ﴾ كما أراد
بعض القرشيين ﴿ لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ﴾ لو بينت الآيات بلسان عربى نفقهه؟! قل لهم يا
محمد سواء كان ﴿ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ﴾ فإن فيه الهداية وشفاء الصدور ، أما الجاحدون الذين
يرفضون الإيمان ، فقد جعلوا فى آذانهم ﴿ وَقُرْءَانَ ﴾ صمم ، وفى عيونهم عمى ﴿ أُولَئِكَ يَنَادُونَ
مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ كأنهم فى عالم آخر ، فلا يسمعون ولا يستجيبون ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
فَاخْتَلَفَ فِيهِ ﴾ اختلف فيه بنو إسرائيل ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ ولولا أن
الله قد حكم بتأخير الحساب لقضى بينهم ، وإن قومك يشكون فى القرآن بدون حجة ولا
برهان ، وتحتمل الآية أن بنى إسرائيل فى اختلافهم هم فى شك مريب ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا
فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ .
